

الأحوال السياسية للدولة السامانية

في بلاد ما وراء النهر

٢٦١ - ٣٨٩ هـ

مقدمة :

حكم السامانيون بلاد ما وراء النهر سنة ٢٦١ هـ، ولم يلبث هذا الحكم أن امتد ليشمل خراسان كلها. وقد أثبت السامانيون جدارتهم في إدارة دفة الحكم في تلك المناطق، فتمكنوا من صد غارات الأعداء وقاموا بحماية الثغور خير قيام، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل ساهموا في القضاء على بعض الدويلات المناهضة للخلافة العباسية كالدولتين الصفارية والزيدية. وموضوع هذا البحث يعنى بالأحوال السياسية للدولة السامانية، ولا يخفى على دارس التاريخ الإسلامي ما لهذا الموضوع من أهمية، فالسامانيون تمكنوا بحسن السياسة والكفاءة الإدارية من تهدئة الأوضاع بعد ما كانت مضطربة ومزعزعة، فاستتب الأمن وعم الرخاء. ولقد استفادت الدولة العباسية استفادة كبيرة من قيام هذه الدولة سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية، فمن الناحية السياسية نجحت هذه الدولة في صد أعداء الإسلام وحافظت على حدود الدولة الإسلامية وقاوت نيابة عن العباسيين الذين كانوا يعانون من الضعف الشديد في هذه الحقبة. أما من الناحية الاقتصادية فبدون شك أن سيطرة السامانيين على هذه المنطقة الغنية كان لها دور كبير في إنعاش اقتصاد الدولة الإسلامية.

الدكتور :
عبدالرحيم
ابن يوسف
آل الشيخ
مبارك*

* بكالوريوس آثار
- جامعة الملك
سعود ١٤٠٥ هـ .
- ماجستير تاريخ
إسلامي من
الجامعة نفسها
١٤١٣ هـ .
- دكتوراه تاريخ
إسلامي - جامعة
مانشستر /
بريطانيا ١٩٩٩ م .
- عضو في كثير
من الهيئات
والجمعيات
العلمية والمهنية .
- يعمل الآن أستاذاً
مساعداً بجامعة
الملك فيصل -
كلية التربية -
قسم الدراسات
الاجتماعية .

وإن الهدف الأساس من هذا البحث هو تسليط الضوء على أسرة السامانيين وخلفيتهم السياسية والاجتماعية والدينية ، ومن ثم الوقوف على أهم العوامل التي ساعدتهم للوصول إلى سدة الحكم .

كذلك التعرف إلى طبيعة العلاقة التي كانت تربطهم بالخلافة العباسية من جهة والعلاقة التي تربطهم بالصفاريين والعلويين والأتراك من جهة أخرى . وختاماً يحاول هذا البحث أن يناقش أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة السامانية والآثار التي تترتب عليها .

أولاً: الخلفية الاجتماعية والسياسية والدينية لأسرة السامانيين:

اختلف المؤرخون حول اسم "سامان"؛ وسبب اختلافهم هذا نابع من وجود قرية في نواحي سمرقند تحمل نفس الاسم ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان فقال : "سامان قرية بنواحي سمرقند ، إليها ينسب ملوك بني سامان بما وراء النهر"^(١). فهل يا ترى أن هذه القرية هي التي سميت باسم حاكمها أم هو الذي سمي باسمها؟ ولعل قدراً كبيراً من هذا الإشكال يزول بعد تعرفنا على نسب هذه الأسرة ، ولنأخذ على سبيل المثال رواية أقرب المؤرخين المعاصرين للدولة السامانية ألا وهو النرشخي الذي ألف كتاباً أسماه "تاريخ بخارى" قال فيه : "ينتسب السامانيون إلى سامان خداه بن حسمان بن طغات بن نوشرد بن بهرام جوبين"^(٢). ونلاحظ هنا أن سامان خداه اسم مركب، وخداه بالفارسية تعني الملك فيصبح الاسم باللفظ العربي "ملك سامان" وفي مراحل لاحقة يبدو أن هذا اللقب طغى على الاسم الحقيقي له فحمل الحاكم اسم القرية التي كان يحكمها، ونُسي اسمه الحقيقي^(٣).

(١) الحموي . معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

(٢) السمعاني . الأنساب ، ج ٧ ، ص ٨٧ .

(٣) الحموي . معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

وعلى أية حال فقد لا يهمنا كثيراً هنا إن كان سامان هو الاسم الحقيقي لجذ الأسرة السامانية، أم هو اللقب الذي عرف به، ولكن الذي يهمنا أكثر هو نسب هذه الأسرة ومعرفة أصولها وجذورها فهل هي أسرة فارسية أم أسرة تركية ؟

لقد أشار بعض المؤرخين وعلماء النسب القدامى كالسمعاني^(١) والحموي^(٢) والقلقشندي^(٣) في أن هذه الأسرة تعود إلى أصول فارسية موافقين بذلك ما ورد عند النرشخي، وذكروا بأن جد هذه الأسرة "سامان" يعود نسبه إلى بهرام جوبين، وبهرام جوبين هو أحد قادة الفرس المشهورين. ولكن هناك بعض الآراء الحديثة التي تشير إلى أن السامانيين يعودون إلى أصول تركية وأنهم ينتمون إلى قبائل الغز^(٤)، وكذلك تقول بأن مقرر أجدادهم هي تلك النواحي البعيدة من أطراف سمرقند^(٥). وإذا كان هذا الادعاء صحيحاً فيتوجب أن يكون السامانيون أتراكاً. وقد تصدى لهذا الرأي الأخير محمد علي حيدر في كتابه الدويلات الإسلامية وأثبت بأن أصل آل سامان من بلخ وليس من سمرقند، وأنهم ينتمون إلى الجنس الفارسي وليس إلى الجنس التركي، وخاصة أنهم حاربوا الأتراك الذين كانوا يغيرون على بلادهم، وأنهم أيضاً اهتموا بحركة بعث الشعر الفارسي في عهدهم، وعدم محاولتهم اخمادها أو القضاء عليها^(٦). وأراني أميل أكثر إلى قول القائلين بأنهم فرس وليسوا أتراكا وإن قطنوا البلاد التركية.

وقد كان أجداد سامان خداه في حقبة ما قبل الإسلام حكاماً لما وراء النهر

(١) السمعاني . الأنساب، ج ٧ ، ص ٨٧ .

(٢) الحموي . معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

(٣) القلقشندي . قلائد الجمال ، ص ٣٠ .

(٤) أبو سيف . أحوال خراسان السياسية والحضارية ، ص ١١٥ .

(٥) حيدر . الدويلات الإسلامية، ص ٨٢ .

(٦) المرجع نفسه، ص ٨١-٨٢ .

وبعد الإسلام تنكر الزمان لوالد سامان فعمل جمالاً، ولم يخضع علو جوهره لحرفة الجمالة، وذات يوم سمع أبياتاً شعرية تأثر بها وثارت رجولته، و بعد مدة يسيرة هجم على مدينة أشناس واستولى عليها^(١).

أما عن ديانة هذه الأسرة فقد كانت تدين بالديانة الزرادشتية^(٢). وحينما تولى أسد بن عبد الله القسري ولاية خراسان سنة ١١٧هـ فإنه قام بمراعاة الأسر الكبيرة ذات الشأن في تلك البلاد سواء من العرب أو العجم، وفي تلك الأثناء قدم سامان خداه جد الأسرة السامانية إلى مرو فاراً من بلخ، فاستقبله أسد بن عبد الله القسري فأكرمه وحماه وقهر أعداءه وأعاد إليه بلخ.

وقد تأثر سامان بهذه المعاملة الطيبة، فأعلن إسلامه على يد الوالي أسد بن عبد الله. ولما رزق سامان غلاماً أسماه أسداً لمحبته إياه^(٣). ثم بعد ذلك أصبحت لأسد بن سامان مكانة عظيمة و منزلة رفيعة في عهد الخليفة المأمون^(٤) وكان له أربعة من الولد هم نوح و أحمد و يحيى و إلياس، فتقدموا عند المأمون في ولايته على خراسان فوثق بهم، ولما عاد المأمون إلى العراق ولى على خراسان غسان بن عباد^(٥)، فولى نوحاً منهم على سمرقند، وأحمد على فرغانة، ويحيى على الشاش

(١) المستوفي ، تاريخ كزيدة ، ص ١٢٧ .

(٢) الزرادشتية: تنسب إلى زرادشت بن بورشب الذي ظهر في زمان كشتاسف بن لهراسب الملك ، وكان أبوه من أذربيجان وأمه من الري . فدعا كشتاسف الملك، فأجابه إلى دينه. وللمزيد من المعلومات انظر (الشهرستاني. الملل والنحل، ج ٢ ، ص ٧٧ ، ٧٨).

(٣) النرشخي . تاريخ بخارى ، ص ٨٦ .

(٤) المستوفي ، تاريخ كزيدة، ص ٢٨ .

(٥) غسان بن عباد بن أبي الفرج : هو ابن عم للفضل بن سهل . عينه الحسن بن سهل والياً على خراسان ثم ولاه المأمون بلاد السند سنة ٢١٣هـ، وتوفي بعد سنة ٢١٦هـ (النرشخي ، تاريخ بخارى . ص ١٠٦؛ الزركلي . الأعلام، ج ٥، ص ١١٩) .

وأشروسنة، وإلياس على هراة ، فلما ولي طاهر بن الحسين بعده أقرهم على أعمالهم ثم مات نوح بن أسد فأقر أخاه يحيى وأحمد على عمله، ولما مات إلياس بهراة ؛ فإن عبد الله بن طاهر ولي مكانه ابنه إسحاق بن محمد بن إلياس. وكان لأحمد ابن أسد من البنين سبعة هم : نصر ويعقوب ويحيى وإسماعيل وإسحاق وأسد وحמיד. ولما توفي أحمد استخلف ابنه نصرأ على أعماله بسمرقند والمناطق المجاورة لها^(١).

ثانياً: العوامل التي ساعدت على قيام الدولة السامانية:

مما لا شك فيه أن هناك عوامل ساعدت على قيام دولة بني سامان في بلاد ماوراء النهر، ومكنتها من بسط نفوذها على جميع نواحي خراسان حتى أصبحت من أقوى الدويلات التي استقلت عن الخلافة العباسية التي ظهر عجزها في السيطرة على جميع الولايات التابعة لها . وقد تميزت الدولة السامانية عن غيرها بأنها لم تستقل عن الخلافة العباسية استقلالاً تاماً، بل ظلت ولايتهم تابعة ولو اسمياً للخلافة العباسية وكانوا يخطبون باسمها مع أنه كان بإمكانهم الاستقلال نهائياً عنها، والعوامل التي ساعدت على قيامها كانت:

١ - لقد كانت الظروف السياسية للشرق الإسلامي غاية في الفوضى السياسية وعدم الاستقرار ؛ وذلك بسبب ضعف مركز الخلافة في العراق، وهذا الضعف بطبيعة الحال انعكس على المدن والأقاليم سواء القريبة منها والبعيدة، ويبدو أن هذه الفوضى مهدت وساعدت السامانيين ذوي السلطة السياسية القديمة أن يتطلعوا إلى الاستقلال السياسي.

٢ - إن الطبيعة الجغرافية لبلاد ما وراء النهر المتمثلة في وجود نهر طويل يعرف بنهر جيحون يفصل بين خراسان وبلاد ماوراء النهر، ساعد السامانيين على تكوين

(١) ابن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

دولة شبه مستقلة عن خراسان، وفي الحقيقة ، فإن إقليم ما وراء النهر يعد وحدة سياسية متكاملة وليس من المصلحة ربطه بإقليم خراسان .

٣ - أسرة السامانيين أسرة الدولة السامانية ؛ إذ إن هذه الأسرة منذ أن دخلت في الإسلام وعلاقتها بالعباسيين كانت علاقة ود ومحبة وتفاهم، وهذا ساهم بدوره على تقبل العباسيين للسامانيين و منحهم حكم تلك البلاد .

٥ - يبدو أن علاقة السامانيين بالدولة الصفارية كان لها دور كبير في قيام الدولة السامانية واستقلالها، وذلك أن علاقة السامانيين بالصفاريين اختلفت عن علاقتهم بالطاهريين، فالطاهريون أقروا السامانيين على بلاد ما وراء النهر، بينما الصفاريون أرادوا أن يحكموا بلاد ما وراء النهر بأنفسهم، وأن يتولوا إدارتها بشكل مستقل. وهذا التصرف بطبيعة الحال لم يرض السامانيين الذين رفضوا مبدأ تسليم ما وراء النهر لهم واستطاعوا إنهاء الحكم الصفاري لتلك البلاد وبالتالي- هذا الأمر- وطد أقدامهم في بلاد ما وراء النهر، بل حتى في خراسان نفسها .. وهذا ما سنراه حين الحديث عن العلاقة بين هاتين الدولتين .

ثالثاً : عرض عام لآراء الدولة السامانية :

١- نصر بن أحمد الساماني (٢٦١ - ٢٧٩هـ) :

نستطيع القول بأن نصر بن أحمد بن أسد بن سامان هو المؤسس الحقيقي للدولة السامانية، أما عن كيفية وصوله للحكم ، فانه لما توفي أحمد الساماني خلفه ابنه نصر على أعماله بسمرقند واستمر عليها إلى أن استولى الصفاريون على خراسان^(١) . فعقد الخليفة العباسي المعتمد لنصر ولاية ما وراء النهر سنة ٢٦١هـ^(٢) .

(١) المصدر نفسه، ج ٨ ، ص ٣١١ .

(٢) الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٠٢ .

ثم بعد ذلك ولي نصر أخاه إسماعيل على بخارى، فحدث بين رافع بن هرثمة^(١) والي خراسان من قبل الطاهريين وبين إسماعيل اتفاق على أن يتعاونوا ويتعاضداً، وطلب منه إسماعيل أعمال خوارزم فولاه إياها. ولما فسد ما بين إسماعيل وأخيه نصر زحف نصر إليه سنة ٢٧٢هـ واستتجد إسماعيل برافع بن هرثمة، فسار إليه لكي ينجده ولكن هرثمة في آخر الأمر تمكن من أن يصلح بينهما خوفاً على نفسه، ولما انصرف رافع انتقض ما بين الأخوين وتحاربا سنة ٢٧٥هـ، وظفر إسماعيل بنصر ولما حضر عنده ترجل له إسماعيل وقبل يده ورده إلى كرسي إمارته بسمرقند وأقام نائباً عنه ببخارى^(٢). وفي سنة ٢٧٩ توفي نصر بن أحمد الساماني بعد حكم دام ثمانية عشر عاماً، وخلفه أخوه إسماعيل بن أحمد^(٣).

٢ - إسماعيل بن أحمد الساماني (٢٧٩ - ٢٩٥هـ) :

تولى الحكم بعد وفاة أخيه، وجعل بخارى داراً لملكه، وقد عمرت ولاية ما وراء النهر في عهده. وفي سنة ٢٨٧هـ أطلق عليه في بعض أنحاء إيران اسم الملك، وبذل مساعي جميلة في الأعمال الخيرية، واجتهد في العدل والإنصاف^(٤). يقول عنه ابن كثير: كان إسماعيل بن أحمد عاقلاً عادلاً حسن السيرة في رعيته حليماً كريماً يجالس العلماء ويحترمهم^(٥). وكانت فترته من أحسن الفترات التي مرت على الدولة

(١) رافع بن هرثمة. ولي خراسان من قبل محمد بن طاهر سنة ٢٧١هـ، ولما تولى المعتضد العباسي الخلافة عزله عن خراسان فامتنع فقاتله عمرو بن الليث الصفار فانهزم رافع وقتل وأرسل رأسه إلى المعتضد (الزركلي. الأعلام، ج ٣، ١٢).

(٢) ابن خلدون. العبر، ص ٣١٢.

(٣) ابن الوردي. تنمة المختصر في أخبار البشر، ص ٤٢.

(٤) المستوفي. تاريخ كزيدة، ص ١٠٩.

(٥) من أولئك العلماء الذين كان الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني يحرص على مجالستهم والاستفادة منهم محمد بن نصر المروزي الفقيه والمحدث المتوفى سنة ٢٩٤هـ انظر (ابن كثير. البداية والنهاية ج ٦ ص ٢١١؛ الزركلي. الأعلام، ج ٧، ص ١٢٥).

السامانية في جميع النواحي سواء السياسية أو الحضارية أو الثقافية ، وكانت بينه وبين الصفاريين و الزيديين علاقات حربية سنتكلم عنها في حينه . توفي رحمه الله سنة ٢٩٥هـ^(١).

٣ - أحمد بن إسماعيل (٢٩٥ - ٣٠١هـ) :

تولى أحمد بن إسماعيل الحكم بعد وفاة أبيه، ولكنه لم يكن يضاهيه لا من حيث الحنكة الإدارية ولا المقدرة الحربية، وكان محباً للعلماء كثير المجالسة لهم، ساهم في نقل الرسائل و الأحكام من اللغة الفارسية إلى العربية^(٢) وبعد مضي ست سنوات من الحكم مات أحمد بن إسماعيل الساماني مقتولاً ضحية مؤامرة حيكت ضده ودفن في مدينة بخارى^(٣).

٤ - نصر الثاني بن أحمد (٣٠١ - ٣٣٠هـ) :

تولى نصر بن أحمد الملك بعد أبيه وكان في الثامنة من عمره، و أول عمل قام به هو الانتقام من قتلة والده، حيث قام بقتل الغلمان الذين قتلوا والده قصاصاً منهم. واجتهد في العدل والإنصاف وعمل إصلاحات كثيرة . حكم الأمير نصر ثلاثين سنة وثلاثة أشهر إلى أن مات مقتولاً في الثاني عشر من رمضان سنة ٣٣٠هـ^(٤) .

٥ - الحميد نوح بن نصر بن أحمد (٣٣٠ - ٣٤٣هـ) :

لقد أصبح نوح ملكاً بعد أبيه واشتهر بصفات عالية حتى لقبه الناس بالحميد، وجرت بينه وبين ابن عمه إبراهيم بن أحمد صراعات على الملك، ولكن الأمير نوحاً انتصر في النهاية وملك حوالي اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر وتوفي سنة ٣٤٣هـ^(٥).

(١) ابن كثير . البداية والنهاية ج ٦ ص ٢١١ .

(٢) المستوفي . تاريخ كزيدة ، ص ١٣٩ .

(٣) أبو الفدا . المختصر في أخبار البشر، ج ٢ ، ص ٦٧ .

(٤) المستوفي . تاريخ كزيدة، ص ١٤٢ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٢ ، وكذلك العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول ، ص ٢٥٥ .

٦ - المؤيد عبد الملك الأول بن نوح (٣٤٣ - ٣٥٠ هـ) :

تربع عبد الملك بن نوح على الملك بعد أبيه وملك سبع سنوات ونصف السنة^(١). ويروى أن سبب موته أنه كان راكباً فرسه في يوم من الأيام فتعثّر الفرس فسقط على الأرض فمات من سقطته وافتتحت خراسان بعده^(٢).

٧ - السديد منصور الأول بن نوح (٣٥٠ - ٣٦٥ هـ) :

تشاور الأمراء بعد وفاة عبد الملك الأول في أمر الملك واستأذنوا ألبتكين^(٣). وهو أكبر الأمراء فرأى ألبتكين اختيار عمه دون أخيه منصور، وقبل أن يصل رد ألبتكين إلى الأمراء، كانوا قد اتخذوا قراراً بتولية منصور الملك، وصار ألبتكين لديه متهماً فظل ألبتكين يتودد إليه بالتحف والرسائل إلا أن ذلك لم يجد معه، وبعد ست سنوات تقريباً قام منصور باستدعاء ألبتكين فأحس حينها أن استدعاءه لا يیش بخير، لذلك امتنع ولم يستجب لذلك الاستدعاء، فأرسل إليه الأمير منصور بجيش فانهزم ألبتكين وتوجه إلى غزنين^(٤). وصار ملكاً عليها، فبعث إليه الأمير منصور بثلاثين ألف فارس لمحاربتة فهجم عليهم ألبتكين وهزمهم وانصرف الأمير منصور عن قتاله تاركاً ألبتكين في إمارته التي استقل بها^(٥). وقد حكم الأمير منصور خمس

(١) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .

(٢) الشهابي . الفرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٣) كان ألبتكين من الموالي الأتراك الذين كانت لهم منزلة رفيعة عند السامانيين ، فقد عينه عبد الملك الأول بن نوح الساماني حاجباً في بلاطه ، ثم عينه في سنة ٣٤٤ هـ عاملاً على مدينة هراة ، ولكنه بعد وفاة مولاه أقصي من منصبه ، فعاد إلى مدينة غزنين التي كان أبوه يليها من قبل السامانيين ، وحل محله في حكمها بعد وفاته سنة ٣٥٢ هـ (حسن إبراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ٣ ، ص ٨٥) .

(٤) مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان ، وهي الحد الفاصل بين خراسان والهند (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٠١) .

(٥) المستوفي . تاريخ كزیده ، ص ١٤٧ .

عشرة سنة كان فيها مثلاً للعدل والإنصاف و كانت وفاته سنة ٣٦٥هـ^(١).

٨ - الرضى نوح الثاني بن منصور (٣٦٥ - ٣٨٧) :

تولى الملك بعد أبيه، وفي عهده امتلأت خراسان بالفتن، وقامت الحروب في كل مكان، وسقطت هيبة السامانيين بسبب الفتن الداخلية^(٢). وفي سنة ٣٨٧هـ توفي الأمير نوح واختل بموته ملك آل سامان فضعف أمرهم، وطمع فيهم أصحاب الأطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة^(٣).

٩ - الأمير منصور الثاني بن نوح (٣٨٧ - ٣٨٩هـ) :

في سنة ٧٨٣هـ تولى الأمير منصور الملك بعد أبيه وحكم سنة وسبعة أشهر^(٤)، وفي نهاية حكمه اختلف منصور مع أبرز قواده وهما بكتوزن^(٥) وفائق^(٦) اللذان اتهماه بسوء المعاملة وعدم الاكتراث وأنهما لم يجدا منه ما كانا يؤملان، فلم يلبثا أن انقلبا عليه واعتقلاه ثم سملا عينيه، وقد استجاب لهما عدد من أعيان العسكر، ثم بعد ذلك قاموا بعزله وعينوا أخاه مكانه وكان صغيراً في السن، فماج الناس بعضهم في بعض واختلت موازين الأمور^(٧).

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

(٢) نفسه، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ٤١٧ .

(٤) المستوفي . تاريخ كزیده، ص ١٤٧ .

(٥) بكتوزن هو أحد قادة السامانيين . عينه أبو الحارث منصور بن نوح والياً على خراسان

(المستوفي . تاريخ كزیده ، ص ١٤٧) .

(٦) فائق هو الذي أسندت له مهمة الحجابة في عهد الأمير نوح بن منصور بن عبد الملك حوالي

سنة ٣٦٥هـ (المستوفي . تاريخ كزیده ، ص ١٤٤) .

(٧) ابن الأثير . الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٣ .

١٠- عبد الملك الثاني بن نوح (٢٨٩هـ) :

انتقل الملك إلى عبد الملك الثاني بعد عزل أخيه، ولكنه لم يمكث سوى ثمانية أشهر وسبعة عشر يوماً ؛ إذ إن سيف الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي^(١) رأى أنه قد حان الوقت للتدخل في شؤون الدولة السامانية التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة بسبب الخلافات الداخلية بين أبناء البيت الساماني من جهة، وتسلط قادة الجيش على أمرائها من جهة أخرى، لذلك لم يمض وقت قصير على عزل الأمير منصور حتى قدم محمود الغزنوي بجيشه محارباً لفائق و بكتوزن انتقاماً للأمير منصور ورغبة منه في السيطرة على بلاد خراسان وقد نجح في ذلك وفر عبد الملك وبعض قادته إلى ماوراء النهر. أما فائق فتذكر المصادر أنه انقلب على أميره عبد الملك و تحالف مع أيلك خان أحد ملوك الترك القرخانيين فجاء أيلك خان لحرب عبد الملك و قبض على أمرائه وأقاربه، واضطر عبد الملك إلى الفرار واستولى أيلك على ماوراء النهر في الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ٢٨٩هـ^(٢).

رابعاً: علاقات الدولة السامانية الخارجية:

١ - علاقة السامانيين بالعباسيين:

إن العلاقة الحقيقية بين السامانيين والعباسيين بدأت في عهد الخليفة المأمون، وذلك حينما كتب المأمون إلى أبناء أسد وأمرهم بمعاونة هرثمة بن أعين^(٣)

(١) محمود بن سبكتكين من أشهر حكام الدولة الغزنوية (٢٨٨ - ٤٢١هـ) و أول من تلقب بلقب سلطان من الغزنويين بعد أن كان يلقب بأمرير وقد لقبه الخليفة القادر بالله يمين الدولة وأمين الملة (المستوفي . تاريخ كزیده ، ص ١٤٦ ، حسن إبراهيم حسن . تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٨٨) .
(٢) المستوفي . تاريخ كزیده ، ص ١٤٨ .
(٣) هرثمة بن أعين : أحد الولاة العباسيين . كان والياً على أفريقيا ثم أصبح والياً على خراسان سنة ١٨١هـ من قبل الرشيد (النرشخي . تاريخ بخاري ، ص ١٠٥) .

في حرب رافع بن الليث^(١) ، فحمل أبناء أسد رافعاً على عقد صلح مع هرثمة وصاهروا بينهم، وقد حدث ذلك في نهاية خلافة الرشيد المتوفى سنة ١٩٣هـ^(٢). ولما صارت الخلافة للمأمون صار غسان بن عباد^(٣) أميراً على خراسان، فأمره المأمون بأن يولي أبناء أسد بن سامان بعض الولايات، فأعطى كلاً منهم مدينة مهمة من مدن خراسان كما أسلفنا وفعلاً تم ذلك في سنة ٢٠٢هـ^(٤).

وحينما توفي نوح بن أسد خلفه أخوه أحمد، ولما توفي أحمد خلفه ابنه نصر ، ولما جلس نصر مكان أبيه سنة ٢٥١هـ جاءه كتاب من الخليفة الواثق بالله يقره على بلاد ما وراء النهر^(٥).

وفي عهد إسماعيل بن أحمد الساماني حدث الصراع بين السامانيين والصفاريين ، فتقلب السامانيون على الصفاريين. ولما علم الخليفة المعتضد بذلك ذم عمرأ و عابه وامتدح إسماعيل وأرسل إليه بالخلع وولاه ما كان بيد عمرو^(٦).

(١) رافع بن الليث بن نصر بن سيار . ثائر من بيت إمارة ورياسة . كان مقيماً في بلاد ما وراء النهر بسمرقند، وناب فيها أيام الرشيد العباسي، وعزل وحبس بسبب امرأة، ولكنه هرب من السجن فقتل عاملها واستولى عليها سنة ١٩٠هـ وخلع طاعة الرشيد، ودعا إلى نفسه، فانتدب الرشيد لقتاله نائب العراق هرثمة، فتمكن من هزيمة رافع سنة ١٩٣هـ ثم لم تقم له قائمة إلى أن توفي سنة ١٩٥هـ (النرشخي . تاريخ بخاري ، ص١٠٥؛ الزركلي . الأعلام، ج٣، ص ١٣) .

(٢) النرشخي . تاريخ بخاري ، ص ١٠٥ .

(٣) غسان بن عباد بن أبي الفرج : هو ابن عم للفضل بن سهل . عينه الحسن بن سهل والياً على خراسان ثم ولاه المأمون بلاد السند سنة ٢١٣هـ، وتوفى بعد سنة ٢١٦هـ (النرشخي . تاريخ بخاري، ص ١٠٦؛ الزركلي . الأعلام، ج٥، ص ١١٩) .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

(٦) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٠٢ .

وهكذا نجد أن العلاقة بين السامانيين و العباسيين كانت علاقة ود وعلاقة مصلحة، فالسامانيون خطبوا باسم العباسيين وحكموا نيابة عنهم، والعباسيون بدورهم أقرروا السامانيين على بلاد ما وراء النهر. والحق أن الخلافة العباسية في هذه الحقبة بدأت تضعف تدريجياً إلى أن فقدت السيطرة تماماً على أجزاء كبيرة من الدولة الإسلامية وظلت سيطرتها منحصرة فقط على مقر الخلافة، بينما وقف السامانيون في وجه أعداء الدولة الطامعين يدافعون ويقاتلون بكل إخلاص. عليه يمكن القول : إن الدولة العباسية استفادت استفادة كبيرة من هذه الدولة الناشئة وأن ذلك الولاء الحقيقي للدولة العباسية ساعدها على الصمود لمدة أطول.

٢ - علاقة السامانيين بالصفاريين :

أ - العلاقة في عهد إسماعيل بن أحمد :

بدأت علاقة السامانيين بالصفاريين سنة ٢٨٧هـ وكانت علاقة حربية دموية؛ إذ إن عمرو بن الليث الصفار^(١) تمكن من قتل رافع بن هرثمة فأرسل رأسه إلى الخليفة العباسي المعتضد، وطلب منه أن يولييه ما وراء النهر، فوجه إليه الخلع واللواء بذلك، وهو بنيسابور.

فوجه عمرو بن الليث خليفته وحاجبه وأخص أصحابه بخدمته وأكبرهم عنده محمداً بن بشير إلى ما وراء النهر، فعبر إليهم إسماعيل نهر جيحون فحاربهم وهزمهم، وقتل قائدهم محمد بن بشير وانهزم الذين كانوا معه وهم قرابة الستة آلاف رجل وتراجعوا إلى عمرو وهو بنيسابور وعاد إسماعيل إلى بخارى فتجهز عمرو لملاقاة إسماعيل، إلا أن بعض أصحابه أشاروا عليه بألا يخاطر بنفسه وأن يحافظ

(١) ثاني أمراء الدولة الصفارية وأحد الشجعان . تولى الإمارة بعد أخيه يعقوب سنة ٢٦٥هـ وتوفى سنة ٢٨٩هـ (ابن الأثير . الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٨٣) .

على روح جنوده . ولكنه لم يقبل منهم ولم يأخذ بقولهم، وغادر نيسابور متوجهاً إلى بلخ، فأرسل إليه إسماعيل رسالة قال فيها: " إنك قد وليت دنيا عريضة، وإنما في يدي ما وراء النهر، وأنا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني مقيماً في هذا الثغر" (١). فذكر لعمره وأصحابه شدة العبور بنهر بلخ فقال مستكبراً لو شئت أن أسكره بالأموال وأعبره لفعلت (٢). ثم حاول عمرو وأصحابه العبور ولكنهم لم يفلحوا فغبر إسماعيل إليهم وأخذ الطرق على بلخ وصار عمرو محصوراً ثم اقتتلوا فانهزم عمرو عن أصحابه وتمكن من الفرار عن طريق بعض المسالك فعثر عليه وأخذ أسيراً (٣). فسيره إسماعيل إلى سمرقند (٤)، ولما وصل الخبر إلى المعتضد فرح بذلك النصر وأثنى على إسماعيل و ذم عمر (٥).

ونلاحظ هنا تذبذب الخليفة العباسي وكيف أنه في البداية أقر السامانيين على بلاد ماوراء النهر، ثم لما ظهرت له قوة الصفاريين عقد لعمره بن الليث على تلك البلاد وسمح له بالتوجه إليها، وعندما عجز عمرو في الوصول والسيطرة عليها- بسبب نجاح إسماعيل من إفشال محاولته و القيام بأسره - نجد أن الخليفة عدل عن رأيه في عمرو بن الليث الصفار فغمر به، لأنه يعرف قوة إسماعيل الساماني وما هو عليه من عزة ومنعة، فأراد بذلك تأديب عمرو بن الليث الصفار بتسليط إسماعيل عليه . وعلى أية حال فإن إسماعيل خير عمراً بين مقامه عنده أو إنفاذه إلى المعتضد، فاختار المقام عند المعتضد فسيره إليه، فوصل إلى بغداد سنة ٢٨٨هـ وبعد ذلك أرسل

(١) ابن الأثير . الكامل في التاريخ، ج ٦ ، وص ٤٠٢ .

(٢) نفسه ، ص ٣٥١ .

(٣) ابن خلدون . العبر ، ج ٣ ، ص ٣٥١ .

(٤) الهمداني . البلدان ، ص ٣١٢ .

(٥) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٠٢ .

المعتضد إلى إسماعيل بالخلع وولاه ما كان بيد عمرو، فاستولى إسماعيل على خراسان وصارت بيده^(١).

و مما سبق تجلت لنا وبشكل واضح سياسة إسماعيل الساماني حيال أعدائه؛ إذ إنه من النادر جداً أن يكون القائد حليماً إلى هذه الدرجة. ولكن إسماعيل كسر هذه القاعدة وتعامل مع أعدائه وخصومه بالحسنى، فرأينا كيف تعامل مع أخيه نصر حينما تغلب عليه، مع أنه كان بإمكانه أن يأسره، ولكنه لم يفعل، بل إنه أقبل إليه وقبل يده واعتذر منه مع أنه هو الأقوى وهو المنتصر وتكرر المعاملة مع عمرو ابن الليث الرجل الذي طمع في بلاد ما وراء النهر وأصر على الإطاحة بإسماعيل والنكاية به، ومع ذلك نجد أن إسماعيل بالمقابل لما مكنته الله منه وقام بأسره فإنه عفا عنه. وهذه السياسة بدون شك تعد سياسة نادرة ومتميزة وتحتاج إلى جهد كبير من ضبط للنفس وعدم التعجل في أخذ الثأر ؛ لأن النفس البشرية كما هو معلوم ميالة للانتقام إلا ما ندر.

وبهذه الحنكة السياسية والإدارية نجح إسماعيل في حقن كثير من الدماء، وقد انعكس ذلك إيجاباً على عهده، حيث هدأت الأوضاع وانتهت الحروب الداخلية وازدهرت البلاد ازدهاراً كبيراً فوصلت إلى قمة الازدهار والتقدم^(٢).

ب - العلاقة في عهد أحمد بن إسماعيل:

بعد أسر عمرو بن الليث الصفار هدأت العلاقة بين السامانيين والصفاريين، ولكن في سنة ٢٩٨هـ أراد أحمد بن إسماعيل أن ينهي وجود الصفاريين نهائياً وذلك بعد أن ثبت ملكه ووطد أمره، فتوجه أحمد من بخارى يريد سَجِسْتَانَ^(٣)، فتوجه أولاً

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٠٢ .

(٣) سَجِسْتَانَ : ولاية واسعة بينها وبين هراة ثمانية أيام وهراة مدينة عظيمة مشهورة بخراسان (الحموي . معجم البلدان، ج ٣ ، ص ١٩٠) .

إلى هراة ومنها سير جيشاً بقيادة مجموعة من أعيان قواده منهم : أحمد بن سهل ومحمد بن المظفر وسيمجور الداوتي^(١) . واستعمل أحمد على هذا الجيش الحسين ابن علي المروزي فساروا حتى أتوا سجستان وبها المعدل بن علي بن الليث الصفار، فلما بلغ المعدل بن علي بن الليث الصفار خبرهم سير أخاه أبا علي محمد بن علي ابن الليث إلى بست^(٢) ليحامي أموالها . فسار أحمد بن إسماعيل إلى أبي علي ببست فتمكن من أسره وعاد به إلى هراة . وأما الجيش الذي بسجستان فإنهم حصروا المعدل وضايقوه، فلما بلغه أن أخاه أبا علي محمداً قد أخذ أسيراً صالح الحسين بن علي، واستأمن إليه فاستولى الحسين على سجستان، ثم حمل محمد بن علي بن الليث إلى بغداد^(٣) .

وفي سنة ٣٠٠هـ تمكن عمرو بن يعقوب بن محمد الصفار من استعادة سجستان ولكن أحمد بن إسماعيل سير إليه جيشاً فهزمه . ورجعت سجستان في قبضة السامانيين^(٤) .

٣ - علاقة السامانيين بالزيديين :

أ - العلاقة في عهد إسماعيل بن أحمد :

بدأت العلاقة بين هاتين الدولتين في سنة ٢٨٧هـ وهي نفس السنة التي اشتبك فيها إسماعيل بن أحمد الساماني مع عمرو بن الليث الصفار ، ويبدو أن محمد بن

(١) سيمجور : هو أحد ولاة خراسان من قبل السامانيين . عينه الأمير منصور بن عبد الملك والياً على خراسان بدلاً من البتكين (المستوفي . تاريخ ، ص ١٤٤ ؛ ابن الأثير . الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٦٨) .

(٢) بست : مدينة بين سجستان وغزني كثيرة الأنهار والبساتين وهي من المدن الكبرى وخرج منها جماعة من العلماء (الحموي . معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤١٤) .

(٣) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٧٤ .

زيد العلوي صاحب طبرستان أراد أن ينتهز فرصة انشغال إسماعيل بحربه ضد عمرو الصفار، فقصده جرجان^(١) بهدف الاستيلاء على خراسان. وخراسان كما سبق أصبحت بعد هزيمة عمرو بن الليث تابعة للسامانيين، فلما علم إسماعيل بنوايا محمد بن زيد العلوي أرسل إليه يقول: الزم عملك ولا تتجاوز ولا تقصد خراسان، ولكن محمداً أبى ذلك، فندب إليه إسماعيل محمد بن هارون^(٢) الذي سار بدوره نحو محمد بن زيد فالتقوا على باب جرجان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم محمد بن هارون أولاً، ثم رجع وقد تفرق أصحاب محمد بن زيد، فلما رأوه قد رجع إليهم ولوا هارين. وتوجه ابن هارون إلى طبرستان^(٣). واستولى عليها وضمت إلى أملاك الدولة السامانية^(٤).

ب - العلاقة في عهد أحمد بن إسماعيل:

في عهد أحمد بن إسماعيل عادت العلاقة الحربية بين السامانيين والزبيديين من جديد، وذلك أن الدولة الزيدية استعادت نشاطها مرة أخرى بعد أن تمكن الحسن بن علي بن الحسن الأطروش - الملقب بالناصر الكبير من الاستيلاء على طبرستان، ولكن عاملها الساماني أبو العباس محمد بن إبراهيم صعلوك^(٥) جهز

(١) جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، وهي أكبر مدينة بنواحيها (الحموي . معجم البلدان، ج ٢ ، ص ١١٩) .

(٢) محمد بن هارون أحد القادة السامانيين وكان يخلف رافع بن هرثمة أيام ولايته في خراسان . (ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٣) .

(٣) طبرستان : مدينة كبيرة في إيران وتقع بالتحديد جنوب بحر قزوين وتعرف اليوم بإقليم مازندران شمال إيران (الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٣) .

(٤) ابن الأثير . الكامل في التاريخ . ج ٦ ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٥) محمد بن إبراهيم صعلوك هو أحد عمال السامانيين . تولى إمارة طبرستان بعد موت عبد الله ابن محمد بن نوح (ابن الأثير . الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٨١) .

حملة وتوجه لملاقاته ، فالتقوا بمكان يسمى " نوروز " فانهزم ابن صعلوك هزيمة منكرة. ومما ساعد على هزيمته هو أنه أساء إلى الرعية فاستغل الأطروش الفرصة وهيج أهل الديلم عليه ودعاهم إلى الخروج معه فأجابوه إلى ذلك ، وبعد الهزيمة توجه ابن صعلوك إلى الري ثم سار منها إلى بغداد، وقتل من أصحابه ما لا يقل عن أربعة آلاف رجل، وحصر الأطروش الباقين ثم أمنهم على أموالهم وأنفسهم وأهليهم وقد ساعد هذا الانتصار على توسيع رقعة الدولة الزيدية في عهد الأطروش^(١).

ج - العلاقة في عهد نصر الثاني بن أحمد:

نشطت العلاقة الحربية أيضاً بين الدولتين في عهد نصر الثاني ، وكانت الصراعات بينه وبين الحسن بن القاسم الداعي^(٢) الذي تولى زعامة الدولة الزيدية بعد وفاة الأطروش.

ففي سنة ٣٠٨هـ كان ليلى بن النعمان^(٣) والياً على جرجان من قبل الحسن بن القاسم، فسار ليلى من جرجان إلى الدامغان^(٤)، فتصادم مع أهلها وقتل منهم مقتلة عظيمة، فسار إليه قراتكين أحد القادة السامانيين وتحاربا فانهزم قراتكين، تاركاً وراءه جيشه وغلاماً يقال له بارس الذي نجح في أخذ الأمان لنفسه من ليلى وكان

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٨١ .

(٢) الحسن بن قاسم العلوي آخر رجال الدولة العلوية في طبرستان . ولاه الناصر الأطروش قيادة جيشه وزوجه ابنته (الزركلي . الأعلام، ج ٢، ص ٢١٠).

(٣) ليلى بن النعمان : هو أحد قواد أولاد الأطروش العلوي، وكان أولاد الأطروش يكتبونه باسم المؤيد لدين الله المنتصر لآل رسول الله ﷺ. وكان كريماً باذلاً للمال شجاعاً مقداماً. (ابن الأثير . الكامل ، ج ٧ ، ص ٣) .

(٤) الدامغان : مدينة كبيرة في فارس كانت تزود القرى المجاورة بالمياه بواسطة قنوات ري أعدت لذلك (الحموي . معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٣٣).

معه حينئذ ألف فارس فأكرمه ليلى وزوجه أخته. وبعد ذلك كثرت الأجناد على ليلى ابن النعمان فضاقت الأموال عليه، فسار نحو نيسابور بأمر من الحسن بن القاسم. فوصلها في ذي الحجة سنة ٣٠٨هـ ونجح في انتزاعها وأقام بها الخطبة للحسن بن القاسم لكن سيطرته عليها لم تستمر طويلاً. وحينما علم نصر بذلك أرسل قائده حمويه بن علي فالتقوا بطوس فاقتتلوا فانهزم أكثر أصحاب حمويه حتى بلغوا مرو وثبت جزء منهم فاقتتلوا مرة أخرى فانهزم بعض أصحاب ليلى، ومضى ليلى منهزماً فدخل سكة لم يكن فيها مخرج فقبض عليه وقطعت رأسه ونصب على رمح وكان ذلك في سنة ٣٠٩هـ، فلما رأوه أصحابه طلبوا الأمان، فمنحهم إياه، ثم قال حمويه للجند: قد مكنكم الله من شياطين الجيل والديلم فأبيدوهم واستريحوا منهم أبد الدهر، فلم يفعلوا وحامى كل قائد جماعة، فخرج منهم من خرج بعد ذلك^(١).

وبعد وفاة ليلى بن النعمان حاول أبو الحسين بن الحسن بن علي الأطروش الاستيلاء على جرجان مجدداً، فاتجه إليها سنة ٣١٠هـ وأقام بها، فأرسل إليه نصر ابن أحمد الساماني قائده سيمجور الداوتي، في أربعة آلاف فارس فنزل بالقرب من جرجان وحاصر أبا الحسين قرابة الشهر، فخرج عليه أبو الحسين في ثمانية آلاف رجل من الديلمة و الجرجانية، فتحاربوا حرباً عظيمة وكان سيمجور قد جعل كميناً فانخدعوا به، فاشتغلوا بالتهب والسلب فخرج عليهم وباغتهم فانهزموا وقتل منهم نحو أربعة آلاف وتمكن أبو الحسين من النجاة بنفسه فهرب إلى أستراباذ^{(٢)(٣)}.

(١) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ٣ .

(٢) أستراباذ : بلدة كبيرة من أعمال طبرستان : خرج منها جماعة من العلماء في مختلف الفنون .

(الحموي . معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٧٤) .

(٣) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ٣ .

٤ - علاقة السامانيين بالأتراك :

بعد الفتوحات الإسلامية أصبحت منطقة بلاد ما وراء النهر بحكم موقعها الجغرافي ثغراً من ثغور المسلمين ؛ لذا كان يتوجب على من يحكم هذه المنطقة أن يذود عن بلاد المسلمين ويقوم بحمايتها ويصد أعداءها . وبما أن السامانيين هم الذين حكموا هذه المنطقة ، فإنهم قاموا بهذا الدور خير قيام . ففي سنة ٢٨٠هـ سار إسماعيل بن أحمد بعد وفاة أخيه نصر إلى أرض الترك ، ففتح مدينتهم الموصوفة بدار الملك ، وأسر خاتون زوجة الملك ومعها خمسة عشر ألفاً من الترك وقتل منهم عشرة آلاف^(١) .

وفي رواية أخرى أن الأمير إسماعيل حينما علم نبأ وفاة أخيه قدم إلى سمرقند ، وأقام ابنه أحمد خليفة له وواصل الغزو والجهاد . فذهب محارباً إلى " طراز " ^(٢) حيث لقي عناءً كبيراً في فتحها وبعد جهد جهيد خرج أميرها مستسلماً مع كثير من الدهاقين ، ودخل المسلمون طراز وحولوا كنيستها الكبرى مسجداً جامعاً وتليت الخطبة باسم أمير المؤمنين المعتضد بالله ، ورجع الأمير إسماعيل منها بغنائم كبيرة^(٣) .

وفي سنة ٢٩١هـ قدم إلى بلاد ما وراء النهر جيش عظيم يضم سبعمئة قبة تركية . والقبة في الجيش التركي لا تكون إلا لرئيس مقدم في قومه ، فوجه إسماعيل ابن أحمد إليهم أحد قواده ومعه جيش كبير لقتالهم فوافاهم واصطدم بهم وتمكن من إلحاق الهزيمة بهم فاستباح عسكرهم وانصرف المسلمون غانمين^(٤) .

(١) المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٤ ، ص ٢٤٥ .

(٢) طراز : بلد قريب من اسبيجاب من ثغور الترك وهو في آخر الإقليم الخامس (الحموي . معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٧ .

(٣) المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٤ ، ص ٢٤٥ .

(٤) ابن الجوزي . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ٦ ، ص ٧٧ ؛ ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٢٣ .

وفي سنة ٢٩٣هـ دخل إسماعيل بلاد الترك وفتح بها مواضع كثيرة^(١)، وأصبح بذلك هو المهاجم بعد أن كان موقفه موقف المدافع، وهذا من دون شك قد رفع من شأنه وشأن دولته وأضفى عليها مزيداً من الهيبة والقوة.

ونظراً لما تميز به الأتراك من صفات عسكرية بارزة ، فإن السامانيين بحكم علاقتهم بهم وقربهم منهم، بدأوا يعتمدون عليهم وأخذوا يقربونهم منهم وخصوصاً الغلمان حتى تغلغلوا في الدولة السامانية كما تغلغلوا من قبل في دولة بني العباس وكان التاريخ يعيد نفسه وبدأوا يكيدون للسامانيين . ففي سنة ٣٠١هـ تمكن غلمان الأمير أبي نصر أحمد بن إسماعيل من قتله بعد أن كان يعتمد عليهم في الخدمة، فتم القبض على بعض أولئك الغلمان الذين اشتركوا في القتل وقتلوا . ولما تولى الأمر من بعده ابنه نصر بن أحمد وكان عمره حينذاك ثمانين سنين حملة خدم أبيه وكانوا من الأتراك فخافهم وقال لهم أتريدون أن تقتلونني كما قتلتم أبي بالأمس . فقالوا لا إنما نريد أن نجعلك مكان أبيك أميراً فسكت روعه^(٢).

وحقق الأتراك عدة انتصارات على السامانيين مغتتمين بذلك تلك الفتنة التي حدثت في أواخر عهد الأمير نصر الثاني الذي مال صراحة إلى الشيعة . إلا أن ولده نوح بن نصر لم يمهل والده فثار عليه وأسره وخلعه وقضى على أنصار الشيعة بمذبحة كبيرة وتمكن كذلك من صد الأتراك^(٣). وبعد ذلك أخذ الإسلام في الانتشار بين القبائل التركية حتى بلغ عدد المسلمين سنة ٤٣٩هـ كما تذكر المصادر أكثر من مئتي ألف من الترك^(٤).

(١) النرشخي . تاريخ بخاري ، ص ١١٧ .

(٢) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٧٩ .

(٣) غرايه . العرب والأتراك ، ص ٣٣ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

خامساً: نهاية الدولة السامانية:

في سنة ٢٨٩هـ سقطت دولة آل سامان على يد محمود بن سبكتكين وأليك الخان التركي شمس الدولة أبي نصر أحمد بن علي بعد أن استمرت ما يربو على المئة عام^(١) ويبدو أن الصراعات الداخلية التي حدثت بين أبناء البيت الساماني كانت سبباً رئيساً في سقوط هذه الدولة ونهايتها^(٢). و يعود تاريخ هذه الصراعات الداخلية إلى الأيام الأولى من بداية ظهورها ؛ إذ إنه حدث صراع عنيف بين الأخوين نصر وإسماعيل وكان سبب ذلك الصراع أولئك الوشاة الذين سعوا بين هذين الأخوين إلا أن إسماعيل بحسن سياسته تمكن من القضاء على هذه الفتنة بتنازله عن الملك لأخيه نصر مع أنه كان المنتصر في تلك الحرب التي دارت بينهما، وبهذا فإن الأمير إسماعيل تمكن من إعادة المياه إلى مجاريها فهدأت الأمور^(٣).

وفي سنة ٣٠١هـ حدثت حرب أهلية أخرى بين أفراد الأسرة السامانية ؛ إذ إن إسحاق بن أحمد بن أسد وابنه إلياس خرجا على السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل الذي تولى الحكم بعد مقتل والده. وكان إسحاق هذا مقيماً في سمرقند ولما علم نبأ وفاة أحمد بن إسماعيل وتولي ابنه مكانه رفض ذلك وأعلن الخروج والعصيان وعين ابنه على الجيش ولما قوي أمره، سار نحو بخارى يريد السيطرة عليها إلا أن السعيد وجه إليه أحد قادته الأقوياء وهو حمويه بن علي فسار إليه فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمز إسحاق إلى سمرقند وتبعه حمويه وألحق به الهزيمة واستولى على سمرقند عنوة باسم الأمير السعيد^(٤).

(١) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٥

(٢) حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٣، ص ٨١.

(٣) المستوفي . تاريخ كزیده ، ص ١٣٨ ، وابن خلدون . العبر ، ج ٣ ، ص ٣١٢ .

(٤) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٨٠ .

وهكذا أخذت النزاعات والصراعات الداخلية تستشري في جسم الدولة السامانية. ففي عام ٣١٠هـ خرج إلياس بن إسحاق مرة أخرى من فرغانة ، واتجه إلى سمرقند يريد استرجاعها ولكن محاولاته باءت بالفشل ، وكرر المحاولة مرة ثانية بمساعدة من أبي الفضل بن أبي يوسف صاحب الشاش ولكنه فشل أيضاً في هذه المرة^(١).

وعلى هذا المنوال ظل إلياس بن إسحاق الساماني يشاغب بني عمومته ويثير الفتن ، وهذا بدون شك أضعف من هيبة السامانيين في نظر الآخرين. وفي عهد الأمير نوح بن نصر بن أحمد تكررت المأساة وعادت الحرب الأهلية بين أفراد الأسرة السامانية ؛ إذ إن إبراهيم بن أحمد عم نوح بن نصر خرج على نصر وحدث بينهما حروب وصراعات على السلطة^(٢). فانتصر الأمير نوح في النهاية على عمه إبراهيم وتم له الملك. وفي عهد الأمير نوح بن منصور (٣٦٥ - ٣٨٧هـ) أيضاً حدثت حروب داخلية ومنافسات بين وزراء الدولة السامانية؛ إذ إن الأمير نوح بن منصور أراد أن يولي الوزارة أبا الحسين العتبي، فتشاور مع أبي الحسين سيمجور أمير الأمراء، فأشار إليه سيمجور بأنه لا يصلح للوزارة لأنه شاب ، فخالفه الأمير نوح بن منصور وأسند الوزارة إلى أبي الحسين العتبي^(٣).

ونتيجة لهذا الأمر نشأت حزازات بين سيمجور وبين العتبي، وقتل العتبي بمؤامرة دبرها له سيمجور، وفي هذه الأثناء امتلأت خراسان بالفتن وقامت الحروب في كل مكان.

ولقد تسربت الفتن إلى موظفي الدولة وقادة الجيش فقد اتفق فائق وأبو علي

(١) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٨ .

(٢) المستوفي . تاريخ كزیده ، ص ١٤٢ .

(٣) يذكر أن أبا الحسين العتبي نجح في ضبط شؤون الملك ، وكما تذكر المصادر أنه لم يمر على الدولة السامانية وزير مثله (المستوفي . تاريخ كزیده ، ص ١٤٥) .

سيمجور على حرب نوح بن منصور، ولما رأى نوح أن الخطر محقق به اتصل بالأمير سبكتكين^(١) وطلب منه المساعدة فصار سبكتكين من غزنة ومعه ابنه محمود نحو خراسان ، وسار نوح فاجتمع هو و سبكتكين كل بجيشه، فقصدوا أبا علي وفائقا فالتقوا بنواحي هراة، واقتتلوا وكان النصر حليف نوح وصاحبه وانهزم أصحاب أبي علي وأخذ أصحاب سبكتكين يأسرون ويقتلون ويغنمون، وعاد أبو علي وفائق نحو نيسابور ومنها إلى جرجان، ففرح نوح بهذا النصر وكافأ سبكتكين بأن أعطاه إمارة خراسان ولقبه بناصر الدين، وأعطى ابنه نيسابور ولقبه بسيف الدولة وكان ذلك في سنة ٣٨٤هـ^(٢).

واستمر الانقسام في صفوف الجيش الساماني وقادته و خاصة بعد وفاة الأمير نوح وتولي ابنه أبي الحارث منصور الذي عين بدوره فائقاً سابق الذكر على الإمارة بالرغم من العداء الذي كان بينه وبين والده ، ولم يكتف بذلك بل قام بتعيين بكتوزن على خراسان .. الأمر الذي جعل سيف الدولة محموداً يثور ويتوجه إلى خراسان لمحاربة بكتوزن ولما علم بكتوزن بذلك ترك خراسان ثم التجأ إلى أبي الحارث منصور بن نوح الذي صمم على مواجهة سيف الدولة محمود . ومع ما كان يستظهر به سيف الدولة من القوة والجند، إلا أنه رفض حرب ولي نعمته فقرر المغادرة إلى غزنین. فإلطف أبو الحارث بكتوزن ولقبه بسنان الدولة وأرجعه إلى بلاده وبعد مدة ساءت العلاقة بين أبي الحارث وقائدي الجيش بكتوزن وفائق اللذين قررا الخروج عليه وبالفعل تحايلا عليه في الطريق وقبضا عليه معاً، وسملا عينيه في سنة ٣٨٩هـ^(٣).

(١) سبكتكين أمير تركي عينه الأمير نوح بن منصور على إمارة خراسان كلها ولقبه بناصر الدين وذلك في سنة ٣٨٤هـ . (المستوفى . تاريخ كزیده ، ص ١٤٦) .

(٢) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ٤٦٦؛ المستوفى، المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٣) المستوفى ، المصدر نفسه، ص ١٤٧ .

ولما تولى عبد الملك بن نوح بن منصور الحكم بعد أخيه قام بإرسال القائد سيف الدولة محمود لمحاربة فائق وبكتوزن انتقاماً لأبي الحارث فنجح في إلحاق الهزيمة بهما واستولى على خراسان^(١). وأقام الدعوة للخليفة العباسي الأمير القادر بالله على منابر تلك البلاد^(٢).

من هذا كله يتبين لنا أن الصراعات الداخلية والحروب الأهلية بين أبناء البيت الساماني كانت من أهم العوامل التي ساهمت وبشكل كبير في إضعاف الدولة السامانية، هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى لا تقل أهمية عن هذا العامل ساهمت وبشكل واضح في إضعاف هذه الدولة التي من الممكن إيجازها في النقاط التالية:

١ - إن الفوضى السياسية التي شهدتها مدن خراسان وما وراء النهر كانت من الأسباب التي أدت إلى إضعاف الدولة السامانية ؛ إذ إن المشرق الإسلامي كان يعج بالفتن والثورات خاصة في مطلع القرن الثاني من الهجرة النبوية، حيث أصبح المشرق الإسلامي أرضاً خصبة لقيام دويلات مستقلة كالدولة الزيدية والدولة الصفارية ، وتمكن السامانيون من إسقاط هاتين الدولتين وتوحيد البلاد في عهد إسماعيل بن أحمد الساماني، وحكموا باسم الخلافة العباسية إلا أن الفوضى السياسية لم تلبث أن عادت من جديد بعد موت إسماعيل بن أحمد، فانبعثت الثورات من جديد ابتداءً بالبيت الساماني، وانتهاءً بقيام دويلات مستقلة أخرى كالدولة البويهية والدولة الغزنوية اللتين هددتا الوجود الساماني.

٢ - كان للموقف السلبي الذي وقفه الخلفاء العباسيون حيال دولة بني سامان أثره الفاعل في سقوط هذه الدولة، فالسامانيون بالرغم من صغر دولتهم وضعف تأثيرهم إلا أنهم لم يدخروا وسعاً في الدفاع عن الدولة العباسية سواء من الناحية

(١) المصدر السابق ، ١٤٨ .

(٢) ابن مسكويه . تجارب الأمم ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ .

المادية أو الناحية العسكرية، ولم يقتصروا على هذا ، بل كانوا يحكمون باسم الخلفاء العباسيين مع أنه كان بإمكانهم الاستقلال نهائياً عن الدولة العباسية، وعلى العكس من ذلك كان موقف الخلافة العباسية حيالهم ، فمن خلال هذا البحث لا نذكر أن الخلافة العباسية مدت يد العون إلى السامانيين سواء من الناحية العسكرية أو من الناحية المادية، بل تكتفي بإرسال الخلع لهم ومبايعتهم على ما ملكوه هم بأنفسهم، مع أن السامانيين كانوا في أمس الحاجة إلى العون خاصة في أواخر أيام حكمهم. وهذا بطبيعة الحال يعكس لنا وبصورة واضحة ضعف الخلافة العباسية ، التي لم تكن قادرة على أن تنهي الفتن والثورات الداخلية التي تسبب فيها الأتراك فضلاً عن أنها تساعد الدويلات الأخرى التابعة لها .

٣ - الموقع الجغرافي للدولة السامانية أيضاً ساعد على نهايتها ؛ ذلك أن الدولة السامانية كما نعرف واقعة على ثغر من ثغور المسلمين، وهذا الثغر يتطلب إمدادات ومساعدات عسكرية وأموالاً كثيرة تصرف على الجنود المرابطين على هذا الثغر. والحروب الداخلية هزت اقتصاد الدولة السامانية فأصبح من الصعب الإنفاق على هؤلاء الجنود المرابطين ، وأيضاً نلاحظ أن الأمراء السامانيين شغلوا هؤلاء الجنود بالحروب الداخلية، فأصبح الثغر مكشوقاً للعدو المتربص الذي يتحين الفرصة للانقضاض على دولة الإسلام. نضيف إلى ذلك أن تضاريس المنطقة كانت صعبة جداً لكثرة الأنهار والوديان والجبال وهذا بدوره أعاق وحداً من تحركات الدولة بين أرجاء البلاد الواسعة وأتاح الفرصة للمتمردين الذين حاولوا الخروج والمروق عليها .

٤ - إن تدخل الأتراك في شؤون الحكم الساماني ساعد هو الآخر على الإطاحة بهذه الدولة، حيث إن السامانيين أخذوا يعتمدون على الأتراك شيئاً فشيئاً، حتى أصبح من السهل على الأتراك أن يتدرجوا في الحصول على المراتب العليا في الدولة والوظائف الحساسة، وأصبح بذلك مصير الدولة السامانية كمصير الدولة

العباسية حينما أتاحوا الفرصة للأتراك في إدارة شئون الدولة. فتجراً الأتراك على النيل من هذه الأسرة وهذا ما لاحظناه حينما أقدم الغلمان الأتراك على قتل أحمد ابن إسماعيل الساماني في سنة ٣٠١هـ. ولاحظناه أيضاً حينما عين عبد الملك بن نوح المملوك التركي البكتين قائداً على خراسان، فلم يلبث هذا الأخير أن اتجه إلى غزنة وأعلن نفسه حاكماً عليها وبدأ يهدد الدولة السامانية. وأصبحت غزنة نواة رئيسة لنشوء الدولة الغزنوية، التي تسببت في الإطاحة بالدولة السامانية.

خاتمة

مما سبق عرضه اتضح لنا الدور الكبير الذي أداه أمراء بني سامان في خراسان وفي بلاد ما وراء النهر، والجوانب السياسية وحدها ليست كافية لأن تكشف لنا التاريخ الحقيقي والكامل لدولة بني سامان.

ولو توسعنا في البحث قليلاً واستعرضنا شيئاً من الجوانب الحضارية الرائعة لرأينا كيف استطاع السامانيون وخاصة في عهد نشوء دولتهم أن ينهضوا بالحياة العلمية والثقافية والاقتصادية. وقد قدر الله أن يعتلي عرش دولة بني سامان شخصية سياسية فذة ونادرة، ألا وهي شخصية إسماعيل بن أحمد الساماني تلك الشخصية التي ضربت أروع الأمثلة في معالجة الأمور السياسية، وقد حبى الله الأمير إسماعيل بصفات عديدة أهله لكي يؤدي دوراً بارزاً في تاريخ هذه الدولة، حيث جمع هذا الرجل بين الشجاعة والحزم من جهة والحلم والعقل من جهة أخرى، وحقيقة يندر أن تجتمع هذه الصفات كلها في شخصية واحدة.

وقد رأينا كيف كان إسماعيل متحمساً للجهاد في سبيل الله والذب عن حمى الإسلام فقام بحماية الثغور الإسلامية خير قيام. واتضح لنا من خلال البحث كيف عالج الأمير إسماعيل الفتنة التي حدثت بينه وبين أخيه نصر التي تسبب فيها الوشاة، الذين لم يزالوا يكيّدون حتى أوقعوا بين الأخوين، فاشتعلت الحرب بين نصر

وأخيه إسماعيل، ولما انتصر إسماعيل على أخيه لم ينتقم منه ولم يخلعه بل رده إلى سمرقند مكرماً معززاً وناب عنه في ولاية بخارى.

ومثال آخر عرضناه سابقاً^(١) حينما تمكن إسماعيل من هزيمة عمرو بن الليث الصفار نجده أيضاً يمد يد العفو له ويخيره بين المقام عنده أو يسيره إلى الخليفة المعتضد. وغير ذلك من الأمثلة الرائعة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على تعقل كبير وبعد نظر في معالجة الأمور السياسية. وقد لاحظنا أن هذه السياسة الحكيمة آتت ثمارها فبلغت الدولة السامانية في عهد إسماعيل أقصى درجات اتساعها وسادها الأمن والرخاء والاستقرار طيلة مدة إسماعيل. فهضمت على أثر ذلك الحركة العلمية في بخارى وغيرها من المدن الأخرى فبرز كثير من الفقهاء والأدباء والأطباء والفلاسفة وغيرهم^(٢).

وما أن توفي الأمير إسماعيل حتى أخذت الدولة تتحدر من القمة تدريجياً فدب الخلاف بين أفراد البيت الساماني وتدخل الأتراك في شئون الحكم وأصبح الأعداء يحيطون ويكيدون بدولتهم حتى انتهت في سنة ٣٨٩هـ.

وختاماً نستطيع القول بأنه قد كان للسامانيين دور كبير في القضاء على الثورات المناهضة للخلافة العباسية، وفضل كبير في نشر الإسلام في بلاد الترك وغيرها، وكذلك جهود جبارة في حماية الثغور وحدود الدولة الإسلامية، ولعل ما تحدثنا عنه سابقاً يكفي لإعطاء القارئ الكريم لمحة موجزة عن هذه الدولة التي أدت دوراً مهماً في بلاد خراسان وما وراء النهر.

والله ولي التوفيق .

(١) انظر علاقة السامانيين بالزيديين من هذا البحث.

(٢) لمعرفة المزيد عن حضارة هذه الدولة يمكن الرجوع إلى المصادر التي تحدثت عن هذه الدولة والاستعانة بقائمة المصادر والمراجع المرفقة في نهاية هذا البحث.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : قائمة المصادر :

- ١ - ابن الأثير، أبو الحسن على بن محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) . الكامل في التاريخ، ج ٦ ، ٧ - ١٠ ط ١ - بيروت ؛ لبنان : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٢ - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٦م) . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ٦ - ١٠ ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٧هـ .
- ٣ - ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل (ت ٧٧٤هـ / ١٣٨٢م) . البداية والنهاية، ج ١١ - ١٠ ط ١ - بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٦٦م .
- ٤ - ابن مسكويه، أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) . تجارب الأمم ، ج ٣ - ١٠ مصر : مطبعة شركة التمدن الصناعية ، ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م .
- ٥ - ابن الوردي، زين الدين عمر. تنمة المختصر في أخبار البشر - القاهرة : المطبعة المصرية ، ١٢٨٥هـ .
- ٦ - أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) . المختصر في أخبار البشر، ج ٢ - ١٠ بيروت ؛ لبنان : دار المعرفة ، (د.ت).
- ٧ - الحموي، شهاب الدين ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) . معجم البلدان ، ج ١ - ٥ - ١٠ بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ٨ - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) . العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٣ - ١٠ بيروت ؛ لبنان : مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

- ٩ - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٣٢م) . تاريخ الأمم والملوك ، ج٥ - ط ١ - بيروت : لبنان : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٠ - السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م) . الأنساب : تحقيق محمد عوانه ، ج ٧ - ط ١ - بيروت ، لبنان ، ١٣٨٦هـ / ١٩٧٦م .
- ١١ - الشهابي، حيدر أحمد (ت ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م) . الفرر الحسان في تواريخ حوادث الأزمان ، ج ١ - ط ٢ - بيروت : دار الآثار ، ١٩٨٠م .
- ١٢ - الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ / ١١٧٠م) . الملل والنحل ، ج ٢ - بيروت : لبنان : دار المعرفة ، (د.ت)
- ١٣ - القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) . قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ؛ تحقيق إبراهيم الأنباري - ط ١ - القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- ١٤ - مؤلف مجهول . العيون والحدائق في أخبار الحقائق ؛ تحقيق نبيلة عبد المنعم داوود ، ج ٤ - النجف : مطبعة النعمان ، ١٩٧٢م .
- ١٥ - المستوفي، حمد الله بن أبي بكر (ت ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م) . تاريخ كزيده ؛ ترجمة: أمينة بدوي (مذيّل في تاريخ بخارى للنرشخي) - مصر : دار المعارف .
- ١٦ - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) . مروج الذهب ومعادن الجواهر؛ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ج ٤ - مصر : مطبعة السعادة، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .
- ١٧ - النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ / ٩٥٩م) . تاريخ بخارى؛ ترجمة أمينة بدوي - مصر : دار المعارف ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

١٨- الهمداني ، أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) . كتاب البلدان ، لندن ، ١٣٠٢هـ .

ثانياً المراجع :

- ١٩- أبو سيف، فتحي عبد الفتاح . أحوال خراسان السياسية والحضارية من سقوط
الطاهريين حتى بداية الحكم الفزنوي، ١٩٨١م .
- ٢٠- حسن، إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،
ج٣ - ط ٠٦ - القاهرة ، ١٩٦٥م .
- ٢١- حيدر، محمد علي . الدويلات الإسلامية في المشرق - القاهرة : عالم الكتب،
١٣٩٣هـ .
- ٢٢- الزركلي، خير الدين . الأعلام، ج ١ - ٨ - ط ٠٨ - بيروت ؛ لبنان : دار العلم
للملايين ، ١٩٨٩م .
- ٢٣- غرايبة، عبد الكريم . العرب والأتراك - سوريا : مطبعة جامعة دمشق ،
١٣٨١هـ / ١٩٦١م .